

في الأدب التركي

من الأدب التركي

الزاهر الأعمى

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست إلى دواوين الشعر التركي أقلب الأجيال بين يدي :
أطالع مرة وجه « نجاتي » و « ذاتي » وأنظر أخرى الى « باقى »
و « نفعي » وثالثة أرى « نديما » « وراغب باشا » و « الشيخ
غالب » ثم أعمد الى الصور الاخيرة فاذا اسناسى و « نامق
كمال » و « ضيا باشا » و « توفيق فكرت » و « عبد الحق
حامد » وغير هؤلاء .

وبينا أطوى العصور باللحجات ، وأقلب الأجيال تقلب
الصفحات ، بصرت « بالصفحات » ديوان الشاعر الكبير صديق
الكرم محمد بك ما كف . فسارعت الى الجزء الاول فافتتح عن
قطعة عنوانها « الزاهر الأعمى » فقرأتها ثم عمدت الى انقلم فترجمتها
ثراً إذضاق الوقت دون نظمها وأنا أقدمها للقراء كما جاءت غفو
البديهة فى الاختيار والترجمة :

الزاهر الأعمى

كنت أرى هذا السائل الضرير ، يتأبط ذراع قائده ، وفى
يده قصبة عتيقة ، ينبعث منها صوت قوى ، كأنه النواح فى
المأتم . ويعر به الناس فيقفون ويستمعون رحمة به ورناء له .
ثم يلتقى كل منهم الى كشكوله البائس الدليل خمس بارات أو عشرأ .
كان يبعث أناته فى قصبته المرضوضة فينبعث الى أذنه فى
رنين العشرات والحسبات صدى البشرى ، ورسالة المودة ، رنات
لا تقضى فى أنين النساى ، الحزين ولكنها تؤلف نعمة أخرى
تسايره . كم أحزننى هذا الصوت ! كم أمضى ذلك المرأى الأليم !

انه من دهره فى ليالٍ متتالمة مديدة ، لا يتنفس فى آفاقها
المظلمة صبح ، ولا يلوح فى وجهه لمحة من النور ، تحدث عن
بسات الرجاء والامل . كلا . ان هذا الوجه الاغبر ، هذا الوجه
التعس قد أفتتت فوقه سحب متراكمة من الشقاء : ماضيه ظلام ،
وظلام مستقبله . سله عن الحياة فهى حقيقة مظلمة مديدة . تراها
نظراته حجاباً من الظلمات دون حجاب . انه لا يبصر المصائب ،
ولكن كل شىء حوله مصيبة ، يمتد به العمر الشقى فى هذا العالم
البائس ، ويتحسس ظلامه الذى ماينتهى فلا يظنر بطريق تخرجه
الى صبح الامل المسفر .

وعلى كتفيه مزق من عباءة بالية قد اتخذها مجنا فى عراق
الايام ، ولكن يد الريح العابسة تنازعه هذا الستر كلما هبت ،
فتكشف عن كتفيه ، وتلقى بصدرة أمواج المطر والبرد .

بينما أخرج السوق بصرت بسائل يبعث أنينا حزينا ، وهو
متكىء على أحجار تعشاها أحوال . وتحتة حصير أبله مر الأيام
ولا يظله الاظنف « سبيل » هناك . ولكن صوت الناس لا ينطلق
الآن بعيداً ، وانما سمعت عن كتب صدى كنسيس المحتضر .

ليت شعرى أكان يزمر لنفسه أم كان يئن ؟ لأحد يسمع
له ! ولا أحد يقف عنده ! ولكن المارة يلقون اليه بنظراتهم
ثم تمضى بهم السبل . ومن ذا الذى يصيخ الى صدى تلفظه المقابر ؟
أيها المسكين ! وطن على الموت نفسك ! واقطع أنات الشكوى .
لا لا . أصخ ! قد سمع فى الكشكول رنيناً مديداً ! يالها نعمة
من الرجاء مطربة ! يالها بشرى ! استمع لها القلب والأذن معاً .

الماء يحترق الظنف ، فينسكب المطر من تقوبه فيضرب
الكشكول البائس ! سمع الأعمى الصوت فحسبه نبض الرحمة قد
جاشت به قلوب المارة . فديده ، مدها الى الكشكول ، ولكن
هيئات ! قد خاب رجاؤه ، وكذب ظنه ، ارتدت يده المتجمدة
من البرد ! ارتدت اليه فارغة مبتلة !